



عنوان المحاضرة: النمسا والمؤتمرات الدولية.

المادة الدراسية: تاريخ اوربا الحديث والمعاصر

المرحلة الدراسية: ماجستير

مدرس المادة: أ.د اياد علي ياسين

العام الدراسي: ٢٠٢٥-٢٠٢٦

النمسا والمؤتمرات الدولية.

١ - مؤتمر فيينا Congress of Vienna

يُعد مؤتمر فيينا أكبر المؤتمرات أهمية بعد مؤتمر وستفاليا، فكما أن هذا المؤتمر الأخير قد نظم شؤون أوروبا بعد حرب دولية شديدة هي حرب الثلاثين عاماً (١٦١٨-١٦٤٨م)، فمؤتمر فيينا كذلك عقد لتسوية حساب أوروبا بعد الحرب التي قامت في عهد الثورة الفرنسية و نابليون.

لقد اجتمع المؤتمر تنفيذاً لشروط معاهدة باريس الأولى في الثلاثين من أيار ١٨١٤م، التي نصت على اجتماع ساسة أوروبا في فيينا، تعويضاً للنمسا عما ألحقه نابليون بها من هزائم متلاحقة تسببت في إهانتها وإلحاق الضرر بها بفقدانها نفوذها السياسي في إيطاليا وألمانيا وخسارتها أراضٍ واسعة كانت تحت سيطرتها.

وبهذا المؤتمر رسمت خارطة أوروبا على أساس تصفية حدود فرنسا الشرقية بمجموعة دول حاجزة لحماية وسط أوروبا من أخطار الثورة، ففي الجنوب أقيمت سردينيا بضم جنوه وسافوي إليها، ووضع الراين الأوسط تحت وصاية بروسيا، ومنحت النمسا مركزاً يسيطر على شمال ووسط إيطاليا، ونالوا مملكة لمبارديا والبندقية، التي كانت عاملاً ممهداً لسيطرتها على إيطاليا بأكملها وتحقيق حلم الإمبراطورية القديم في التسلط على هذه البلاد، كما استعادوا تريستا ودلماسي أيضاً، وأعيد فرديناند الرابع إلى عرشه في نابولي، وامتد نفوذهم من أقصى شمال الجزيرة الإيطالية إلى أقصاها، وخرجت النمسا من حروب نابليون ظافرة بحصة الأسد، وزاد عدد سكانها إلى (٤,٥) مليون نسمة، وكادت سيطرتها تكون كاملة على إيطاليا، وبرزت كرئيسة لاتحاد ألماني جديد التكوين.

ولكن الصعوبة الكبيرة التي واجهت ساسة أوروبا هي التسوية في وسط وشرقي أوروبا حول مصير وارسو التي اقتطعها نابليون من ولايات بروسيا البولندية وسلمها إلى ملك سكسونيا ليحكمها، وماذا يصنع بمملكة

سكسونيا نفسها، فكانت روسيا تريد امتلاك بولندا، وبروسيا تريد امتلاك سكسونيا، ولكن النمسا لا تريد مثل هذا الحل، ورأت في مطامع بروسيا إخلالاً بالتوازن العام التوازن في ألمانيا وخطرًا دائماً يهدد أملاكها في بوهيميا. وأخيراً وصل المتفاوضون إلى تسوية تتال بروسيا وفقها نحو ثلثي سكسونيا ومقاطعات الراين، وأقيمت في بولندا ملكية دستورية تحت حكم قيصر روسيا، ولذا فإن مؤتمر فيينا في ظل مترنيخ كان يؤمن بأن رخاء أوروبا لا ينال بالعمل حسب رغبات الشعوب، بل بإطاعة السلطات الشرعية طاعة مطلقة تامة.

كان مترنيخ مستشار النمسا أقوى شخصية سيطرت على مناقشات مؤتمر فيينا وأشد الأعضاء تمسكاً بعودة الأمور إلى ما كان عليه قبيل الثورة الفرنسية، وهذا الذي سماه السياسيون "إعادة التوازن الدولي" الذي اقترن بإعادة الحكومات القديمة فأصبح نظام الحكم المطلق هو النظام السائد.

٢- مؤتمر تروباو (23 Troppau تشرين الأول ١٨٢٠م)، وليباخ (13 Laibach كانون الثاني ١٨٢١م):

عندما نشبت الثورة في نابولي ضد ملكها فرديناند بتأييد الجمعيات السرية المعروفة بالكاربوناري Carbonari، وارغم الملك على أن يحكم البلاد حكماً دستورياً، وعمل مترنيخ على التدخل ضمن هذه الثورة لعاملين:

أن الولايات النمساوية في إيطاليا تعرضت لخطر الدعوة الثورية التي قامت في الجنوب.

تعاهد النمسا مع ملك نابولي على مساعدته ضد أي انقلاب من شأنه نقض المبادئ التي تسير عليها النمسا في حكم ولايتها الإيطالية.

واقترح مترنيخ على أن يفرض من قبل الدول في أمر هذا التدخل، حتى يعتمد على نفوذ هذه الدول السياسي والأدبي، ويحصل على مبدأ التدخل، لمحاربة الثورة بصفة عامة، ورفض كاسلريه وزير خارجية إنكلترا مبدأ التدخل لمثل هذا الغرض، الذي لا تنطبق عليه مبادئ العصبية، وهي ضمان السلم والمعاهدات، وأعلن أنه لا يحق التدخل في الشؤون الداخلية للدول، إلا بناء على معاهدات خاصة تتيح مثل هذا التدخل، أما روسيا وبروسيا فقد قبلتا وجهة النظر النمساوية، وأصرتا على الاجتماع مما أدى إلى تصدع أركان التحالف، ولكن عندما اجتمع المؤتمر في تشرين الأول ١٨٢٠م، أصدرت النمسا بالاشتراك مع روسيا وبروسيا، قراراً بالتدخل لمحاربة الثورات، واحتجت كل من فرنسا وإنكلترا على هذا

القرار، ولكن الاحتجاج لم يأتِ بالثمرة المرجوة منه، وانفض المؤتمر على أن يجتمع في ليباخ في العام التالي، للنظر في شؤون نابولي إذا فشل توسط الدول توسطاً سليماً لإرجاع الحكم إلى نصابه القديم.

ولما أصر أبناء نابولي على الاحتفاظ بحقوقهم المكتسبة، دعا فرديناند إلى عقد مؤتمر ليباخ الذي كان قد تقرر انعقاده، لاتخاذ الوسائل الكفيلة لتنفيذ مشيئة الدول، فأجبر شعب نابولي فرديناند على أن يقسم على احترام الدستور قبل مغادرته البلاد، فأقسم مجبراً وأعلن بعد خروجه من البلاد، أنه في حل من الارتباط بهذا القسم الذي انتزع منه انتزاعاً، وطلب أثناء انعقاد المؤتمر في النمسا إعادة الملكية المطلقة في بلاده فأجابت النمسا طلبه، وزحفت جيوشها إلى نابولي وأعادت إليها الحكم المطلق.

ثانياً: سياسة النمسا تجاه الحركات الثورية في:

١ - الولايات الألمانية

تجاهل مؤتمر فيينا أمانى القوميين الألمان في تكوين وطن قومي موحد، وكان مترنيخ على وجه الخصوص يخشى قيام أية حركة قومية خارج نفوذ سلطة النمسا، وكانت سياسة مترنيخ تريد إبقاء ألمانيا مفككة الأوصال حتى يمكنه التغلب على حكوماتها منفردة بخلاف ما إذا كانت متحدة الأجزاء، فضلاً عن ذلك معارضة مترنيخ للحركات القومية لأن الإمبراطورية النمساوية تتكون من قوميات متعددة وانتشار الروح القومية يؤدي إلى تحللها.

وبتأثير مترنيخ قرر مؤتمر فيينا تكوين اتحاد مفكك من الولايات الألمانية (٣٩) ولاية، مستقلاً في مجمع يتألف من مندوبين عن أمراء الولايات مقره مدينة فرانكفورت Frankfort أطلق عليها اسم (الدايت Diet) أو (البوندشتاغ Bundestag) لمناقشة المسائل التي تخص الاتحاد وتتخذ القرارات بشأنها، وكان الدايت يمثل حكام الولايات الألمانية لا الشعب الألماني، وكان هناك ممثلون لكل من ملك إنكلترا بوصفه حاكماً لمقاطعة هانوفر وملك الدانمارك بوصفه دوقاً لهولشتاين وملك هولندا بوصفه دوقاً للوكسمبورغ، وكانت النمسا قد انفردت برئاسته، لأن النمسا كانت رئيسة الاتحاد الألماني حسب قرارات مؤتمر فيينا.

ونص دستور ذلك الاتحاد بأنه لا يحق لدول الاتحاد التحالف مع دول أجنبية ضد مصلحة أعضائها في الاتحاد، وكان الدايت يصدر قراراته بأغلبية الثلثين في المسائل العادية، أما في المسائل المهمة فكانت قراراتها لا تتخذ إلا بالإجماع، وكانت هذه إحدى النقاط السلبية أيضاً في الدايت، ذلك أن مصالح حكام الولايات الألمانية لم تكن متفقة دائماً، وعلى سبيل المثال لم يستطع الاتحاد أن يعد جيشاً لألمانيا، وإنما

استطاع وبعد كثير من العناء، أن ينشئ بعض الحصون الاتحادية، ومن هنا كان رأي الشعب الألماني أن هذا النظام غير قادر على تأمين وضع مناسب للولايات الألمانية على المستوى الدولي.

ومع أن المادة (١٣) من دستور الاتحاد تضمنت إقامة مجالس نيابية في الولايات الألمانية المختلفة، إلا أنها لم توضح نوع هذه المجالس ولا وقت منحها، فبقيت حبراً على ورق يتصرف الدايت في تفسيرها كيفما يشاء، وبقيت الحكومات ملكية مطلقة في الاتحاد الألماني عدا ساكس فيمار ورتمبرغ وبافاريا وبادن وهس دارمشتاد، حيث تشكلت مجالس نيابية رغبة من حكامها في استمالة سكانها إليهم، وصرف أنظارهم عن بروسيا.

كانت مقررات مؤتمر فيينا مبعث استياء الوطنيين الألمان ودعوتهم إلى انتشار الفكر الحر في أوساط المثقفين الألمان، الذين كانوا يأملون ظهور دولة ألمانيا موحدة بعد هزيمة نابليون، وقد انتشر التذمر بين صفوف الطلبة الوطنيين من طلبة الجامعات بصورة خاصة، وقد شكل هؤلاء لأنفسهم منظمة أطلق عليها اسم (برشنشافت Burschenschaft)، وكان أول تأسيس لها في جامعة ينا عام ١٨١٥م، ومنها انتشرت إلى الجامعات الأخرى في وسط وجنوب ألمانيا، واعتمدت هذه المنظمة على شعارات (الشرف والحرية والوطن)، وكان من أهدافها الأساسية الاهتمام ببث الوعي القومي في الدويلات الألمانية، وتحريرها من كل نفوذ أجنبي، وتدريب الشباب تدريباً بدنياً ليكونوا خير الأعضاء العاملين في جسم الأمة الألمانية.

وفي تشرين الأول ١٨١٧م عقد أعضاء المنظمة احتفالاً في قلعة فارتبرغ في مقاطعة ساكس فيمار التي اشتهرت بكونها معقل الأحرار في ألمانيا، وقد نظم هذا الاحتفال بمناسبة مرور (٣٠٠) عام على نشر مقالات المصلح مارتن لوثر ضد البابوية، والذكرى السنوية الرابعة لمعركة لايبزك، إلا أن الاحتفال تحول إلى مظاهرة سياسية من قبل طلاب الجامعات، وأحرقوا فيه شعارات ورموز النظام القديم، وقد أثارت استياء حكام الاتحاد الألماني الرجعيين، وخصوصاً حكام النمسا، فأمرت حكومة بروسيا بتفريق المنظمات الطلابية، فعطلت هذه المنظمات في بعض الجامعات، وفي آذار ١٨١٩م قام طالب يدعى كارل ساند K.sand وهو أحد أفراد منظمة جامعة ينا باغتيال الشاعر الروائي كوتزيبو Kotzebue، الذي عرف بميوله الرجعية، وكان صديقاً لقيصر روسيا ألكسندر الأول (١٨٠١-١٨٢٥م)، وقد شاع أنه كان يحث القيصر على مساندة مترنيخ في سياسته الرجعية، وقد اتخذ مترنيخ من هذه الحادثة مبرراً لضرب العناصر الوطنية في ألمانيا، وعلى أثر ذلك اقترحت ساكس فيمار وبروسيا أن يتخذ الدايت المنعقد في مدينة فرانكفورت الإجراءات الكفيلة بوقف هذه الحركات في الجامعات.

اجتمع في كارلسباد ملك بروسيا فريدريك وليم الثالث مع مترنيخ مستشار النمسا في أيلول ١٨١٩م، وممثلوا تسع حكومات، واتخذوا طائفة من القرارات الرجعية سميت (بمراسيم كارلسباد Carlsbad Decrees)، أكدت على تقييد الصحافة مدة خمس أعوام، ووضع الجامعات تحت مراقبة مركزية دقيقة ومنع تأليف الجمعيات أو عقد الاجتماعات السياسية، مع منع إعطاء أي دستور يناقض مبدأ الحكم الملكي، وتشكيل لجنة تحقيق في مدينة ماينز للبحث عن أصول الحركات الثورية ومدى نشاطها، فألغي القبض في بروسيا على عدد كبير من الطلاب، ووقعت عليهم عقوبة السجن مدة تتراوح بين (١٢ إلى ١٥) عاماً، ومنذ ذلك التاريخ وحتى ثورات عام ١٨٤٨م، لم يواجه الاتحاد الألماني أية مشكلة جدية من جانب الوطنيين الألمان باستثناء بعض الانتفاضات في أنحاء متفرقة من ألمانيا عام ١٨٣٠م والتي تم القضاء عليها بسهولة ويمكن القول أن مترنيخ قد نجح إلى هذا الحد في إحكام قبضته على الوضع السياسي في عموم الولايات الألمانية، أما بخصوص الأحداث بين (النمسا والولايات الألمانية) التي تلي هذه الفترة سوف يتطرق إليها المؤلف في الفصل القادم عند الحديث عن الوحدة الألمانية.

٢- الولايات الإيطالية:

وفي عام ١٨١٥م طبق مؤتمر فيينا، مبدأ القديم إلى قدمه على إيطاليا، وإرجاعها إلى ما كانت عليه قبل الحكم الفرنسي، وهكذا استردت النمسا لومبارديا والبندقية كتعويض لها عن الأراضي المنخفضة، كما أعيد حكم آل هابسبرغ على مقاطعات توسكانيا ومودينا وبارما، وعاد فرديناند الإسباني إلى عرش نابولي واستعاد البابا حكم ولاياته في وسط إيطاليا، وألغت كافة الإصلاحات التي أدخلها نابليون بحجة أنها منافية للديانة المسيحية، ورجعت عائلة سارفوس إلى حكم سردينيا، وبذلك هدموا كل ما بناه ذلك الفاتح من قواعد الإصلاح فعادت إيطاليا تعاني من التجزئة السياسية والتبعية الأجنبية، التي تزعمها مترنيخ حاكم النمسا، وعلى الرغم من الحكم الرجعي هذا، فإن هذه السياسة لم تتمكن من القضاء على الشعور القومي الذي أصابه الازدهار بتأثير الثورة الفرنسية، بل على العكس اشتدت حدة التذمر والإحساس بالظلم والرغبة الجامعة في التخلص منه، فنظم الأحرار الإيطاليون الجمعيات السرية للنضال ضد الحكام الرجعيين الذين ارتبطوا بالدولة الأجنبية، وكان أكبر هذه الجمعيات وأهمها الجمعية المعروفة باسم ((الكاربوناري Carbonari)) أو حارقي الفحم التي تكونت في نابولي، والمعروف أنها كانت بنشاط منذ عام ١٨١٧م وانضم إليها كثيراً من العاطلين وضباط الجيش الذين ذهب النظام الجديد بأموالهم وأعمالهم،

وانتشرت فروع هذه الجمعية بسرعة فائقة في جميع أنحاء إيطاليا، وكان هدف أعضاء الجمعية تغيير النظام السائد آنذاك، دون أن يكون لها برنامج محدد، وإنما هدفها الأول الحرية السياسية وطرد الأجنبي.

وفي عام ١٨٢٠م، قام أنصار جمعية الكاربوناري بأول ثورة لهم في مملكة نابولي حال وصولهم خبر ثورة عام ١٨٢٠م في إسبانيا، والتي نجحت في إرجاع دستور ١٨١٢م إلى حكم إسبانيا، وهو دستور فيه شيء من المبادئ الديمقراطية والحرية، اعتمدت الكاربوناري في ثورتها على أنصارها في جيش مملكة نابولي وخاصة فرقة الفرسان، وأجبر فرديناند على منح نابولي دستوراً حراً على غرار دستور إسبانيا، لكن فرديناند كان يضمّر غير ما يظهر، فاتصل بمتريخ مستشار النمسا وزعيم النظام الرجعي في أوروبا طالباً منه المساعدة، فعقدت الدول الأوروبية الموقعة على مقررات مؤتمر فيينا مؤتمراً لها في مدينة تروبا عام ١٨٢٠م للنظر في مسألة أسلوب الحكم الجديد في نابولي، إذ عده متريخ ظاهرة خطيرة تهم مصلحة الدول الأوروبية، وعلى الدول الأوروبية أن تتدخل عسكرياً للقضاء على ذلك النظام، وقد تقرر دعوة فرديناند إلى مؤتمر لايباخ Laibach عام ١٨٢١م لمناقشة ذلك الدستور الذي منحه إلى نابولي، وعلى الرغم من تأديته يمين الولاء للدستور فإنه تخلى عن اليمين بعد اجتيازه الحدود، وطلب من الجيوش الأجنبية التدخل لإعادة النظام إلى عصره السابق، وكلفت الجيوش النمساوية بالزحف إلى نابولي لمساعدته حتى قضيت على الثورة ونجحت في إعادة الحكم الاستبدادي لها، وألغى فرديناند الدستور واضطهد رجال الثورة الوطنيون أشد الاضطهاد ونفذ حكم الإعدام بـ(٨٠٠) فرد، حتى صارت أملكته أشد الدول استبداداً وطغياناً في العالم المسيحي على حد تعبير المؤرخ كارلتون هيز.

وقضت على ثورتهم وأنزلت بهم أشد أنواع العقاب وبقي الجيشان مرابطان في العاصمة روما لحماية سلطة البابا حتى عام ١٨٣٨م، وكان إخفاق الثورة هذه، بداية مرحلة جديدة في تحويل الحركة الثورية من النطاق المحلي إلى إقليمي لتشمل كل إيطاليا.

كان من أسباب فشل الثورات التي قامت بها جمعية الكاربوناري في فترة ١٨٢٠-١٨٣٢م أنها كانت محلية غير عامة، ونشبت في أوقات مختلفة، ثم أنها لم تستند على قاعدة شعبية واسعة إذ اعتمدت على المتقنين والضباط والعسكريين لا على الطبقة الثالثة من أهل القرى والمدن الصغيرة، فضلاً عن ذلك لم يكن ثوارها يتمتعون بأي تربية سياسية وأهداف موحدة وذات برنامجاً واضحاً ومحدداً يتم تحقيقه عند نجاح الثورة، فكان بعضهم يؤمن بالحكم الجمهوري، وآخرون يرون الحكم الملكي المقيد بدستور، وبعضهم يرى في البابوية خير وسيلة لتوحيد إيطاليا، كما افترقت هذه الثورات للتنظيم والتنسيق والقيادة الكفوة،

فكان من السهل إخمادها، كما إن الموقف الدولي لم يكن بجانب الثورة، فكانت إيطاليا محاطة بدول قوية يمكنها التدخل في شؤونها الداخلية بموجب مقررات مؤتمر فيينا، ثم نفوذ النظام الرجعي الأوروبي القائم بزعامة مترنيخ وتحالفها مع الحكام الرجعيين داخل إيطاليا والوجود النمساوي على الأجزاء الشمالية في إيطاليا، كما سيتحدث المؤلف أكثر تفصيلاً عن سياسة النمسا تجاه إيطاليا خلال الحديث عن الوحدة الإيطالية.